أدب الأندلسيات :

٤ ـ ابن بسام صاحب الذخيرة والشاعر ابو مروان الطُّبْنى

للأستاذ عبد الرحمن البرقوقى

أما كتاب الذخيرة فليس أصدق فى التعريف به مما جاء فى تصديره أو مقدمته أو مدخله أو خطبته ، وإذ أن خطبة هذا الكتاب طويلة فلنجتزىء بذكر ما يهمنا منها ، وهنا ننبه القارىء الى أن مستهل هذا الكتاب الموجود فى النسخ الموجودة بدار الكتب المصرية هو غير مستهل الخطبة الحقيق . وإليك هذا المستهل كما هو فى النسخ المذكورة :

« الحمد لله الذى أبرز قمر الآداب فى سماء الكمال ، وجعل لها أهلا كالنجوم يقتدى بهم ويهتدى مدى الأيام والليال ، وصلاةً وسلاما على السيد السند الرسول الفضال ، وأصحابه وأزواجه والآل ، ما صدح هزار الفصاحة على أغصان فنن البلبال ، وبعد : فيقول صاحب العزلة والانفراد أبو عبد الله عبد الملك بن المنصور بن عبد البر بن عدى بن هشام بن أحمد بن بسام : أنى كلِفْتُ منذ زمان بأن أعد محاسن أهل جزيرة الأندلس ، ورأيت العزلة والانفراد عن هذا العالم فى هذا الزمان ، واجبةً بحسب الامكان ، وأردت قطع التردد عن مجالسة الرجال ، لاسيما والفكر مشغول فى بحر التفكر فيما كلفت به وادكرته بعد أمة . ولا أدعى أنى اخترعته ولكنى لعلى أحسنت حيث اتبعت ، وانتقيت ما جمعت ، وتألفت على الشارد ، واغتنيت عن الغائب بالشاهد ... الخ الخ » وهذا كلام كما ترى غث بارد مفسول لا يصدر عن مثل ابن بسام ، ولعله من تلفيق حُمْقَ النساخين ، يضاف الى ذلك أنه ورد فيه اسم ابن بسام خطأ فليس اسم ابن بسام عبد الملك ابن المنصور ... وإنما اسمه علىّ وكنيته أبو الحسن لا أبو عبد الله... إذن هذا كلام مفتعل . ومستهلّ الخطبة الحقيق هو كما ورد فى نفح الطيب [1] ما يأتى :

« أما بعد » حمداً لله ولى الحمد وأهله ، والصلاة على سيد محمد خاتم رسله ، فان ثمرة هذا الأدب ، العالى الرتب ، رسم تنثر وترسل ، وأبيات تنظم وتفصل ، تتثال تلك اتثيال القطار على صفحات الأزهار ، وتتصل هذه اتصال القلائد ، على نحو الخرائد ، وما زال فى أفقنا هذا الأندلسى القصى إلى وقتنا هـ من فرسان الفَنَّين ، وأئمة النوعين ، قوم هم ما هم طيب مكاسر ، وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقّق ، لعب الدجن بجفون المؤرق ، وجدّوا بفنون السحر المنمّق ، جد الأعشى ببنات الحلق ، فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب المنثور والمنظوم ، وباهوا غرر الضحى والأصائل بعجائب الأشعار والرسائل ، نثر لورآه البديع لنسى اسمه أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمه ، ونظم لو سمعه كُثَيِّر ما نسم ولا مدح ، وتتبعه جَرول [1] ما عوى ولا نبح ، إلا أن أه هذا الأفق ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق ، يرجعون إلى أخبار المعادة ، رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفا غراب ، أو حنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لحنوا على هـ صنما ، وتلوا ذلك كتاباً محكما ، وأخبارهم الباهرة ، وأشعار السائرة ، مرمى القصيه ، ومناخ الرديه ، لا يمر بها جنان ولا خلد ولا يصرف فيها لسان ولا يد ، فيلاظى منهم ذلك ، وأنفت هنالك ، وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ، غيرةً لهذا الأفق الغريب أن تعود بدُورُهُ أهلّة ، وتصبح بحورُهُ ثماداً مضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ، وقديماً ضيعوا العلم وأهله ، وبارح محسن مات إحسانه قبله ، وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان ، وخص أهل المشرق بالاحسان ، وقد كتبت لأرباب هذا الشان ، من أهل الوقت والزمان ، محاسن تبهر الألباب ، وتسحر الشعراء والكتاب ، ولم أعرض لشىء من أشعار الدولة المروانية [2] ، ولا المدائح العامرية [3] ، إذ كان ابن فرج الجيانى [4] قد رأى رأيى فى التصفه ، وذهب مذهبى من الأنفة

(١) ج ١ ص ٨٠٠ طبع أوربة

(١) هو الحطيئة
(٢) دولة بنى أمية بالأندلس
(٣) نسبة للمنصور بن أبى عامر
(٤) سنترجم له

لى فى محاسن أهل زمانه ، كتاب الحدائق معارضاً لكتاب
هرة للأصفهانى ، فاضربت أنا عما ألّف ، ولم أعرض لشىء
ا صنّف ، ولا تعدّيت أهل عصرى ممن شاهدته بعمرى ،
لحقه أهل دهرى ، إذ كل مردّد ثقيل ، وكل متكرر مملول ،
قد تجنّبت الأسماع « بادار ميّتة بالعلياء فالسّند » إلى أن قال
بعد ذكره أنه يسوق جملة من المشارقة مثل الشريف الرضى
القاضى عبد الوهاب والوزير ابن المغربى ، وغيرهم ممن يطول
اصورته ... وإنما ذكرت هؤلاء النساء بأبى منصور ، فى تأليفه
لمشهور ، المترجم بيتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر ...

هذا هو كل ما أورده المقرى من خطبة الذخيرة ، ومن هذا الموضع
يبتدئ بقية الخطبة المثبتة فى النسخ الموجودة فى دار الكتب ،
فاذا أردت أن تجمع أطراف خطبة الذخيرة فهذا الذى أوردناه
هنا هو الشطر الأول منها ، لا ما هو مذكور فى النسخ التى بين
أيدينا حتى إذا وصلت إلى هذا الموضع وهو : ـ وإنما ذكرت
هؤلاء النساء بأبى منصور فى تأليفه المشهور المترجم بيتيمة الدهر
فى محاسن أهل العصر ـ وهذا هو ما أورده المقرى واقتصر
عليه ـ فارجع الى هذا الموضع فى خطبة الذخيرة اللفقة وامض منه
الى نهايتها وبذلك تجتمع لك الخطبة وتكمل ، وهى خطبة على طولها
بارعة جميلة ، فارجع اليها فى الذخيرة إن شئت ؛ وما حفزنا الى
القول عليها وإيراد ما أوردناه منها إلا هذا التخليط الذى اعتور
النسخ التى بأيدينا . . .

* * *

هذا وقد كسر ابن بسام هذا الكتاب على أربعة أقسام :
القسم الأول لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من موسطة بلاد
الأندلس ، وهذا يشتمل من الأخبار وأسماء الرؤساء وأعيان
الكتاب والشعراء على جماعة . . . الخ الخ ، والقسم الثانى لأهل
الجانب الغربى من الأندلس وذكر حضرة اشبيلية وما اتصل بها
من بلاد ساحل البحر المحيط الروى وفيه من الأخبار وأسماء
الرؤساء وأعيان الكتاب جملة موفورة . . . الخ الخ ، والقسم
الثالث ذكر فيه أهل الجانب الشرق من الأندلس ومن نجم من
كواكب العصر فى أفق ذلك الثغر الأعلى الى منتهى كلمة الاسلام
هنالك ... الخ الخ ، والقسم الرابع أفرده لمن طرأ على هذه الجزيرة
من أديب شاعر وكاتب ماهر ووصل بهم ذكر طائفة من
مشهورى المشارقة ممن نجم فى عصره ... الخ الخ

« وبعد » فانا نضرع إلى الله سبحانه أن يوفق جماعة
المستشرقين الذين أزمعوا طبع هذا الأثر النفيس حتى يخرجوه
سليما معافى بارئاً مما ألمّ به من التحريف الذى شوه محاسنه ، وكاد
يطمس معالمه إنه سميع الدعاء

عبد الرحمن البرقوقى
منشىء مجلة البيان ورئيس قلم المراجعة بمجلس النواب

الكتب الحديثة

الموضوع		الثمن
	« جزء ثالث »	
خالد الذكر	أحمد شوقى بك	٨
الانجليز فى بلادهم	للدكتور حافظ عفيفى باشا	٤٠
أديب	للدكتور طه حسين	١٠
محمد	للأستاذ توفيق الحكيم	٢٥
المختار	للأستاذ عبد العزيز البشرى	١٥

اطلبوها من مكتبة النهضة المصرية

شارع المدابغ رقم ١٥ — القاهرة

يضاف قرشان إلى ثمن كل كتاب يطلب لإرساله بالبريد